مذكرات مجنون

— ٣ —

بمناسبة حديثي السابق عن رئيس « الدار » ، لا بأس ان اورد لك نتفاً من اخباره ونوادره ، لعلها تخفف عنك ايها القارئ ـ ثقل الحياة الماثلة التي تحياها ، فانا لست من الجنون بالدرجة التي تفرض علي ان اكتب لاجل الاصلاح ، او اسود ورقا في سبيل الارشاد ، فهذه امور يتكفل بها اناس مخصوصون ، ربما يحين الوقت الذي يجاورونني فيه .

جلس الي ذات صباح ، بعد ان تناولت معه الفطور الدسم الذي يقدم اليه كل يوم ، وطالما دعاني الى الفطور معه لزعمه باني اقل جنونا من غيري وهو لا يعلم باني لو تحققت من زعمه هذا بنفسي لانتحرت منذ زمان ، ولكني ـ والحمد لله ـ اشك في اقواله مطلقاً لذلك سأمتع نفسي بفطوره الشهي ما دام هذا زعمه فيّ ، وليذهب بقية اخواني الذين لا يتعدى فطورهم شيئا من الخبز وقطعة من الجبن ، الى الجحيم ، اذ ما الذي يربطني بهم سوى هذا الذي يسمونه جنونا ، والجنون يدفع صاحبه الى محاولة اجتلاب المغانم لنفسه دائماً ، وهكذا انا !.

وعلى كل فقد جلس « الرئيس » الي ذات صباح ، وحاول ان يستدرجني الى الحديث عن نفسي وعما اتوق اليه قائلا : انه على استعداد لان ينيلني ما اشتهي في هذه الحياة ، ولكنني وانا المجنون الاصيل ، لم يدخل هذه الآمال الكاذبة الى رأسي ، ومع ذلك لم اقع على سبب لهذا التزلف المفاجئ الذي يبديه الرئيس نحوي ، إلا اللهم اقتراب تخلصه من اوظار المادة وقيودها ... كانت هذه الافكار تجول في خاطري حين استطرد قائلا : أجل سأوفر لك كل ما ترغب ولتشتهي ، على شرط ان تكف عن نشر مذكراتك التي تنشرها في المجلات وهنا طبعاً بانت الحقيقة ، فسامحك الله يا ابا بيان ، لكم اكدت عليك بألا ترسل مجلتك الى الدار ، لكي لا اقع فيما وقعت ولكنك لم تبال بتحذيري اياك ، وكأنك حين فعلتها تكهنت بما سيحدث من التصادم بين عاقل ومجنون

مع الشياطين

— ٣ —

طرق الباب ولما اكمل ارتداء ثيابي بعد ، فخامرني شيء من الحيرة ، فمن يكون الطارق يا ترى ، ولست على موعد مع احد ؟ فاخذت انزل الدرج وانا اعوذ باولياء الشياطين من كل انسان رجيم ، وفتحت الباب واذا انا بشرطي من الشياطين افهمني بكل ادب انني مطلوب لدى معاون الدائرة (١٣) من دوائر سلك الشرطة ، وان عليّ ان اكون هناك مع من اشاء من المحامين ، في ظرف ساعة لا اكثر . ثم انسحب وعلى شفتيه العريضتين ابتسامة اعرض ، وهو يقول بانه مكلف بمراقبتي خلال هذه الساعة ريثما تتم المقابلة مع المعاون المذكور وهو لهذا سينتظر في المقهى المواجه للدار .

وهنا اصطدمت بالواقع المؤلم فدائرة الشرطة رقم [١٣] تختص بالجرائم ذات الصبغة الاجتماعية فقط ، وهي لهذا معتنى بها اشد الاعتناء ، يسير التحقيق فيها سيراً وئيد ودقيقا جداً فلا يترك كون شاردة ولا واردة صغرت او كبرت إلا وقلبوها بحثا وتدقيقا ، وهم يجندون لذلك اكبر علماء النفس والاخلاق ليقعوا على [الدافع] قبل ان يقرروا [العقاب] ورئيس هذه الدائرة فضلا عن انه دكتوراه في القانون ؛ فقد شغل هذا المنصب منذ اكثر من الفي سنة . فمن العسير ان يفر من امامه مذنب ؛ او يعاقب بريء .

مرت هذه المعلومات في رأسي وانا واقف ازاء الباب بعد انسحاب الشرطي المبلغ . وحمدت للبشر اختراعهم للدرهم الذي يخرجهم من مأزق تشبه المأزق الذي انا فيه ؛ حيث يرجع المبلغ الى رئيسه فيبلغه عدم وجود المراد تبليغه ؛ دون ان يستطيع الدرهم في جيبه ان يصرخ مكذبا دعواه . وهكذا عدت ادراجي الى البيت لاتصل [تلفونيا] بالمحامي لعله يستفسر لي عن سبب هذا التبليغ المفاجئ ؛ فرفعت [السماعة]

وكأنك ظننت بانك تنتقم بهذا مني على ما مضى ! ولكني سأفوت عليك غرضك هذا ، لئلا يقال ان عاقلا قد غلبني .

الدار أنا

من ادب الواقع

يائسة !..

للاستاذ ضياء الشماع

في ضاحية من ضواحي بغداد المشرفة على نهر دجلة ، وفي ركن خلوي انزوى قصر الحاج ايوب ، تحفه حديقة غناء ، وتظلله شجيرات الموز وادواح الصفصاف . وعلى نافذة من نوافذ الشرفه يلاحظ عند العصر من كل يوم وجه امرأة صادراً كئيباً .

وما أشبه حياة تلك المرأة باوراق الخريف المتساقطة التي تتطاير امامها ، او كالشفق الاحمر الباكي الذي تديم النظر اليه وقت الغروب بعد ما تلقي الشمس آخر نظرة حزينة على وجه الارض . ان السنوات العديدة التي تصرمت من حياة تلك الفتاة لم تترك اثراً سوى قلب مفعم زفرات ، وعين مترقرقة قريحة .

شاء الله ان يجعل هذه الصبية واسمها فاطمة بنتاً لذلك الشيخ الهرم الحاج ايوب الذي لم ير في حياته غير الجامع والبيت . والى ام مقعدة شديدة التقوى لا تتكلم إلا بالمسبحة فهي لسانها المعبر ومرشدها الامين .

ترعرعت هذه البنت بين كنف والدين محافظين على التقاليد القديمة ، متأثرة بها حيية خجولة ، لا تبرح عتبة بابها ولا تتخايل خارج منزلها ولكنها واحدة من بنات عصرها تريد ما يردن وتهوى ما يهوين .

كانت فاطمة في الحقيقة فتانة المحاسن ، بارعة الشكل ، هيفاء القوام . إلا انها جاهلة ليس لها دراية بالقراءة والكتابة لان اباها حرمها من الذهاب الى المدرسة باعتقاده ان ذلك محرم في الشريعة . ومع هذا فقد خطب ودها وطلب يدها كثيرون ، والحاج ايوب يخيب آمالهم ويردهم بالحجج والاعذار المقبولة !! ؛ فلا يزوجها لهذا لان نسبه غامض مجهول ولا يسلمها لذاك لكونه فاجراً عاصياً ؛ ولا يعطيها لفلان لان الله عز وجل لم يشأ ذلك ... وهكذا حتى يأس الجميع ونفضوا ايديهم من كل رجاء . واخيراً فاتحه طبيب القرية ـ وهو شاب مؤدب كان يتردد على بيته لعلاج زوجته العليلة ـ بشأن ابنته عندما حانت منه التفاتة الى وجهها المليح من خلال نقابها الاسود الشفاف ! فاستمهله الحاج ربثما يفكر في الامر ؛ فراح الى منجم القرية وعرافها المشهور ليقضي حكمه فيه . ويشاء سوء الطالع ان يلاحق البنت فيزيد في نحسها ؛ عندما يصدر العراف نبوءته الربانية بعدم ملاءمة نجميها او اتفاق اسميها !؟

والفتاة تنتظر ... وتنتظر بقلب مشوق الى بصيص أمل علّه يخرجها من سجنها ووحدتها وينقذها من كمنت ابيها وتصلبه ويريحها من خدمة والدتها وطلباتها التي لا تنتهي . وكثيراً ما تسمع والدتها تردد جملتها المعهودة بقولها : « نحن هنا ضيوف يا فاطمة ؛ فما هي إلا ايام قلائل ونرحل .. » فيثقل هذا على كاهل الفتاة ويزيد من سخطها .

ولفاطمة ابن خال يكبرها بخمس سنوات يدعى طارق ولقد تحابا منذ الصغر عندما كانا يلعبان سوية . والآن قد بلغ الثلاثين ؛ صبيح الوجه ؛ ظريف الهيئة ؛ عصبي المزاج . قد اكمل دراسته في هندسة (الميكانيك) بجامعة لندن ؛ حيث قضى هناك ست سنوات اصطبغ بصبغة أهل الغرب وتأثر بنزعاتهم وعاداتهم .

عاد الى وطنه وهو شديد اللهفة للاجتماع مع من يحب في بيت عمته . فكثر تردده على البيت وهو يختال في ثيابه الزاهية وقبعته الافرنجية ؛ وغليونه الصيني الضخم لا يفارق فمه عندما يحدثهم الاحاديث الشائقة عن بلاد العجائب . ويدور بالحديث نحو حياة القرية الساذج التي هو فيها وبالاخص

الى اذني وانا انتظر جواب [السنترال] وانتظرت خمسة دقائق ؛ ثم عشرة ؛ ثم خمسة عشر ولكن بلا جواب ؛ ولولم اكن شيطاناً عظيم الصبر لحطمت آلة التلفون تحطيماً ؛ واخيراً جاءني الجواب من مامور البدالة ؛ فسألته عن اسمه ؛ واذا به مأمور بدالة الكوفة الذي عرف بايستغراقه في النوم خلف البدالة ؛ او مطالعته للجرائد اثناء العمل .

واخيراً تم الاتصال بيني وبين الحامي ؛ فوعدني ان يوافيني بالخبر اليقين ؛ في العدد القادم .

الشيطان الصغير